فلسفة التربية بين إِمانوئيل كانط و إميل دوركايم

(دراسة مقارنة)

إِبراهيم أَحمد شعير الجميلي * و عامر عبد زيد الوائلي **

تأريخ التقديم: 2021/3/6 تأريخ القبول: 2021/4/10

المستخلص:

للتربية والبيداغوجيا أَهميَّة كبيرة في فلسفة ما بعد عصر النهضة، ولاسيَّما فلسفة (كانط، Kant) و(دوركايم، Durkayim)، لما لهما من أثر كبير في رفع المستوى العلمي والثقافي للمجتمعات الغربية؛ إذ عَدَّ كلا الفيلسوفين التربية ركنًا أَساسيًا من أَركان الفكر الإِنساني، على الرغم من الاختلاف الكبير في التوجه الفلسفي والتربوي لدى كل منهما؛ لكنَّه يوجد هناك بعض التوافق بين الرؤى؛ إِذ عالج كل منهما بطريقته الخاصة أَبرز المشكلات التربوية التي يعاني منها المجتمع في العصر الذي يعيش فيه، من أَجل تحقيق السعادة للفرد والمجتمع، على الصعيد الأَخلاقي، والديني.

الكلمات المفتاحية، الدين، الأَخلاق، البيداغوجيا بيداغوجيا .

المقدمة:

يُعدُّ الحديث عن التربية والبيداغوجيا في الفلسفة بوصفهما مفهومين أَساسين شيء في غاية الأَهمية؛ ذلك لما لهما من أَثر في تطوير الجانب المعرفي، والعلمي والتربوي، وتشكل فلسفة التربية جانبا أَساسيًا في الفلسفة، إِذ تُسهم وبشكل كبير في تنمية وتطوير الأَنظمة التربوية حول العالم بشكل عام، وقد اختلف الفلاسفة والباحثين في الأَزمنة والعصور الفلسفية على تحديد مفاهيم، وأُسس فلسفة التربية، والبيداغوجيا، وإِذا ما تتبعنا آراء الفلاسفة على الصعيد الزمني والتاريخي حول تحديد ماهية كل من مفهومي (التربية، والبيداغوجيا) نجدها مشكلة قد شغلت الفلاسفة والمربين في عصور الفلسفة القديمة،

* طالب ماجستير/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الكوفة.

** أُستاذ/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الكوفة.

والحديثة، وأَنَّ آرائهم فيها متباينة بتباين الفلسفات في المجتمعات المختلفة، و(إمانوئيل كانط) و(وإميل دوركايم) من بين هؤلاء الفلاسفة، فهما فيلسوفان عظيمان عاش كل من منهم في زمن مختلف عن الآخر، وفي مجتمع مختلف من حيث التقاليد، والأَعراف، واللغة، كان لكل فيلسوف منهم توجهه الخاص، ونظريته الفلسفية الخاصة، فمن المعروف أَنَّ "كانط" كان مؤسس للفلسفة المثالية الأَلمانيَّة النقدية، وأَمَّا "دوركايم" كان منهجه يتسم بالواقعية صاحب النظرية الوظيفية؛ ولكن من اللافت للنظر أَنَّ كليهما له نظريته، وأَفكاره الخاصة في مجال التربية، والبيداغوجيا، وبما أَن كل منهما له رؤيته، وتوجهه؛ ومن البدهي أَن تكون أفكارهم وآراؤهم مختلفة من حيث طرحها، وأُسلوبها، ومضمونها، سوف نحاول معرفة وتحديد أَبرز سمات التشابه، والاختلاف بين هاتين النظريتين عند كل منهما معتمدين على الركائز الأَساسية لكل نظرية، وعلى هذا الأَساس سيكون بحثنا مكوناً من مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث أَساسية نسعى في مجملها إلقاء نظرة وافرة على الاقتران الحاصل في مجال فلسفة التربية ضمن الحقبة الحديثة.

إشكالية البحث:

إشكالية البحث تكمن في السؤال هل باستطاعتنا إيجاد نقاط توافق واختلاف من شأنها أَن تغيِّر في النظرة الفلسفية القائمة؟ هل باستطاعتنا دمج ما هو (مثالي أَخلاقي كوني) ما هو (عقلي واقعي متباين) والخروج بنتائج إيجابية؟

أهداف البحث :

أَمَّا أَهداف البحث فتكمن في تحديد أَبرز الأَفكار التي تقوم عليها النظريتان، وإِيجاد أَوجه التشابه والاختلاف بين رؤى الفلاسفة، وهي محاولة منَّا لتقريب وجهات النظر بين فلسفة (كانط) التي تدور حول ربط مفهوم التربية بمفهوم أَخلاقي مرتبط بالنهاية بالكائن المطلق، وبين الرؤية (دوركايمية) التي تربط مفهوم التربية بالمجتمع، وتنظر إِلى حرية الفرد من وجهة نظر مشروع حداثوي، الغرض منه إِنشاء أَنظمة تربوية علمانية، بعيدة عن فكرة الدين، والكائن المطلق.

حدود البحث:

من المعروف إِنَّ الفلسفة في العصر الحديث وبعد حركة النهضة اصبحت تبحث في كل ما يخص الإِنسان، من معرفة، وأَخلاق، ودين، وتربية، فكان للعصر الحديث وحركة

النهضة فلاسفته، علمائه، ومن بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف الألماني (إمانويل كانط) و(إميل دوركهايم) فهم يمثلان أُنموذجين مختلفين فكريًا، في عصرين مختلفين أَحدهما في العصر الحديث، والآخر في العصر الراهن، فللفيلسوفين آراء ونظريات في كثير من جوانب المعرفة، وبضمنها الجانبين التربوي والبيداغوجي فحدود بحثنا الموسوم **(فلسفة التربية بين إمانوئيل كانط و إميل دوركايم (دراسة مقارنة)** تكون في محاولة منا لدراسة العلاقة بين التربية كفكر من ناحية الطرح الفلسفي، وبيداغوجيا التربية بوصفه عملية تفاعلية في مجال التربية والتعليم عند فيلسوفين مختلفين من حيث الزمان والمكان، إذ يمثلان آراء اتجاهين مختلفين من اتجاهات الفلسفة في مجال التربية والبيداغوجيا، أَحدها يدرس التربية على أَساس أَنَّها مشروع أَخلاقي يتسم (بالكونية) شامل لكافة الشعوب يكون فيه عابراً لمفهوم الهوية، يسعى إلى تأسيس فلسفة أَخلاقية دينية، والآخر يدرس التربية على أَساس (عقلي اجتماعي) متباين ومتغير، يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعيَّة.

منهج البحث:

ونظرًا لما تتمتَّع به الدراسة من تنوع فقد استعمل الباحث المنهج المقارن منهجًا أَساسيًا؛ لكن هذا المنهج وفي الكثير من حالاته يحتاج إلى استعمال المنهج التحليلي، وفي بعض الأَحيان المنهج النقدي.

أَوَّلًا: غايات التربية وأَهدافها بين كانط، ودوركايم:

إنَّ ما يعنينا هنا هو معرفة أَهداف وغايات التربية في دراسة مقارنة عند كليهما، وتحديد أَوجه التشابه، والاختلاف بين نظريتيهما، تمثل غاية التربية(Education) عند "

كانط"[1*] هي تنمية الجانب الأَخلاقي عند الفرد، فالتربية عند "كانط" مرتبطة ارتباطا وثيقًا بالأَخلاق، ولذلك يدعو إِلى تنمية استعداداته إِلى الخير، وأَن يثقف نفسه، إِذ يقول في هذا الصدد: " يجب على الإِنسان أَوَّلًا تنمية استعداداته إِلى الخير، فلم تضعها العناية الإِلهية فيه مكتملة كلها، إِنَّما هي مجرد استعدادات تفتقر إِلى العلامة المميزة للخلقية، فإِن يستحسن هو أَن يثقف نفسه وأَن ينمي الخلقة في ذاته"[2] .

ولذلك تعدُّ غاية التربية ومهمتها الأَساسيَّة هي أَن يعرف الإِنسان كيف يملأْ مكانته بين الخليقة على نحو يليق بمكانته بين الخلائق، ومن أَجل أَن يكون إِنسانًا حقًّا، يجب عليه أَن يفهم كيف يكون إِنسان، فالإِنسان لا يصير إِنسانًا إِلَّا بالتربية، وهنا تكمن غاية

---

* (كانط)(1724_1804). فيلسوف ألماني، وفي ولد في مدينة كينجسبرج (Kongsberg) في بروسيا الشرقية في (22) من شهر أبريل في (1724). ينتمي الى عائلة تنحدر من اصول اسكتلندية فيها الأب يعمل سراج ، والأم شديدة التدين والحماس من اتباع الحركة التقوية، اشتهر في فلسفته بمذهب المثالية النقدية. وأهم مؤلفاته:)

1)أفكار في التقويم الصحيح للقوى الحية (1747)

2) التأريخ العام لطبيعة ونظرية السماء (1755)

3) في السبب الأول للفصل بين المناطق في المكان (1768).

4) بحث في شكل، ومبادئ العالم الحسي والعالم المعقول (1770).

5) نقد العقل الخالص (1781) .

6) نقد العقل التطبيقي أو السلوكي (1787)

7) نقد ملكة الحكم (1790) .

8) (الدين في حدود العقل البسيط (1793)

9) (في السلم الدائم (1795).

10) (صراع الملكات (1798). ينظر: بدوي، عبدالرحمن، إمانويل كنت، الناشر وكالة المطبوعات، ط1، الكويت،1977، ص 6ـ7.

2) كانط: إمانويل، ثلاث تأملات في التربية، ماهي الأنوار، ما التوجه في التفكير، ت، محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، ط1، صفاقس، 2005 ، ص17.

التّربية؛ إذ إنَّها تربية الفرد الشخصية، وهي تربية كائن حر يعمل بحريته؛ لكن في الوقت نفسه يحافظ عليها بوصفها سمة إنسانية[1].

وبذلك تُعدُّ فكرة الإنسانية من أُسس التربية، وغاياتها الكاملة، فيه محمولة على قدر كبير من الأَهمية، ولذلك يدعو إلى أَن تأخذ التربية اتجاها كونياً، يتجاوز به حدود الهوية، صالحا لكل المجتمعات، متمثلة بالخير الكلي، إذ يقول: " التربية يجب أَن تأخذ اتجاهًا كونيًا أَو عالميًا" [2].

وكذلك من الأَفكار المحورية عند (كانط) الَّتي تدل على غاية التربية هي أَن لا يربى الطفل حسب حالة النوع البشري الراهنة؛ بل يربى حسب الحالة الممكنة للمجتمع. الَّتي تتمثل في الحاضر، والمستقبل، أَي على وفق فكرة الإنسانية، وغايتها، منتقدًا بذلك الأَولياء، والحكام الذين يربون أَبناءهم حسب الظروف الراهنة، بهدف تكيفهم مع ظروف العالم الراهن فحسب بغض النظر كان هذا العالم صالحًا، أَم فاسدًا، إذ يقول في هذا الصدد: ((نواجه صعوبتين الآباء عادة ما يهتمون فقط بأن أطفالهم يشقون طريقهم في العالم وينظر الحكام إلى رعاياهم على أنهم مجرد أدوات لأغراضهم الخاصة. الآباء يهتمون بالمنزل، والحكام للدولة. لا يهدف أي منهما إلى الخير الشامل والكمال الذي يتجه إليه الإنسان، والذي له أيضًا شخصية طبيعية. لكن يجب أن يكون أساس أي مخطط تعليمي عالميًا. وهل إذن فكرة الخير الشامل تضر بنا كأفراد على الرغم من أنه قد يبدو أنه يجب التضحية بشيء من خلال هذه الفكرة، فقد تم إحراز تقدم أيضًا نحو ما هو الأفضل حتى للفرد في ظل ظروفه الحالية. ثم ماهي العواقب المجيدة التالية. من خلال التعليم الجيد ينشأ كل الخير في العالم))[3].

وبذلك يربط هذه الفكرة (الفكرة الكونية) بالسياسة من خلال ربطها بفكرة السلام العالمي بين الدول عبر معاهدة أَسماها (معاهدة السلام)، الَّتي من شأنها أَن تقضي وإلى الأَبد على الحروب العالمية بين الشعوب إلى الأَبد؛ لأَنَّ غايتها تكون في المحافظة على

1) ينظر: بدوي، عبدالرحمن، فلسفة الدين والتربية عند كنت، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م ، ص121.

2) ينظر: كانط: إمانويل ،تأملات في التربية، ص17.

3(Kant on Education (Ueber Paedagogik), trans. Annette ChurtonP16

حريتها وحرية غيرها من الدول المتحالفة، من دون الإذعان لقوانين عامة، ولا لإكراه متبادل ويبيِّن لنا ذلك من خلال قوله: "ويمكن التدليل على إمكانية تحقيق هذه الفكرة، فكرة (النظام الاتحادي) الذي ينبغي أَن يمتد شيئًا فشيئًا إلى الدول جميعًا، فيؤدي بها إِلى السلام الدائم، الذي هو تحقيق تلك الفكرة"[1].

وأَمَّا " دوركايم"* وقبل أَن يطرح نظريته التربوية قدم نقدًا إِلى الفلاسفة والمربين السابقين و" كانط" من ضمنهم الذين كانوا يؤكدون على النظر إِلى أَهمية الجانب الفردي في العملية التربوية، وهذا الجانب كما تصوره " دوركايم" لا يتفق مع الحقيقة الواقعية؛ لأَنَّه

1) كانت، امانوئيل، مشروع للسلام الدائم، ترجمة، عثمان امين، د ط، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1952، ص56.

* (إميل دوركايم 1858_1917) فيلسوف فرنسي ينتسب الى اسرة يهودية، اذ ارادت اسرته في تربيته ان يكون اتجاهه دينيا لكي ينضم الى سلك الكهنوت(اليهودي)، لكن رغبته كانت تختلف عن رغبة اسرته، فكانت رغبته ان يغدو استاذا فتحقق له ما اراد. فكان فيلسوفاً وعالم إجتماع في نفس الوقت، اتسمت فلسفته بالواقعية، ومن أهم أعماله اهم اعمال (دوركهايم)

1) (تحريم سفاح القربى واصوله).
2) (تعريف الظاهرة الاجتماعية).
3) (وبعض الاشكال البدائية للتصنيف.
4) (الانتحار 1897.
5) (الاشكال الاولية للحياة الدينية 1912) ،
6) (علم الاجتماع والفلسفة، صدر بعد وفاته وطبع سنة 1925.
7) قواعد المنهج في علم الاجتماع.
8) التربية والمجتمع
9) التربية الاخلاقية
10) تصورات فردية وتصورات جماعية 1898.
11) تحديد الحدث الاخلاقي 1907.

(ينظر: عبدالجبار، نبيل عبدالحميد، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار دجلة للطباعة والنشر، 2009، ص)

يرى أَنَّ " الفلسفة الكلاسيكية كانت تتجاهل دائمًا النظر إِلى الإنسان الواقعي في زمان ومكان محددين"[1].

وعلى هذا الأَساس يعتقد أَن التربية تقوم على تحقيق التنشئة الاجتماعية المنهجية للأَجيال الصغيرة، فهو يقول بوجود كائنين في داخل كل فرد، لا يمكن الفصل بينهما على نحو من التجريد، أَحدهما يمثل ذات الفرد في حياتها، ومجرياتها، وأَمَّا الكائن الآخر يمثل نسق الأَفكار والمشاعر، والعادات، التي لا تعبر عن شخصية الفرد؛ إِنَّما تعبر عن الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الفرد، وبذلك أَنَّ هدف وغايات التربية عند " دوركايم" هو بناء هذا الكائن الاجتماعي بواسطة غرس المظاهر الاجتماعية، العادات، والمعتقدات الدينية [2].

وفي هذا السياق ينتقد (دوركايم) التعريف المميَّز الذي يحدد الهدف من التربية بقوله: " العمل الذي يهدف إِلى تحقيق سعادة الإنسان وسعادة الآخرين"؛ إِذ يرى هذا التعريف مفتقرا إِلى الكفاية الموضوعية؛ لأَنَّه يعدُّ السعادة شيئًا ذاتيًا في جوهره، والأَفراد مختلفين من حيث الجوهر، فيكون تقدير السعادة مختلف من فرد إِلى آخر؛ لذلك يعتقد أَنَّ ذلك التعريف لا يحدد أَهداف التربية، ولا غاياتها[3].

وعلى هذا الأَساس يعتقد بأَنَّ غرس المظاهر الجماعية في الفرد بواسطة التربية هو ما يحدد هدفها، وتعدُّ وظيفة التربية في نظره هي أن تنقل الفرد من وضع أناني غير اجتماعي إِلى الوضع اجتماعي؛ أَي إِنَّها تجعل منه شخصًا قادرًا على تحمل حياة الجماعة فالتربية هي من تجعل الإنسان ينتقل من وضعه المشابه لوضع الحيوان، إِلى وضع جديد يكون فيه الإنسان أَكثر رفعة، وكمال يكون قادرًا على التحكم في عقله بحيث أَنَّ الشخص

---

1) ينظر: دوركهايم، إميل، التربية والمجتمع، ت: علي اسعد وطفة، ط5، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996 ، ص21.

1) Durkheim, Émile (1858-1917). Auteur du text Éducation et sociologie / par Emile Durkheim,... ; introd. de Paul Fauconnet,... (Paris) **Date d'édition :** 1922 https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k813131/texteBrut

3) ينظر: دوركهايم، إميل، التربية والمجتمع، ص56.

يكـون مـؤهلًا أَن يـؤدِّي دورًا إيجابيًـا فـي تطـور (العقـل الفـردي) و (العقـل الجمعـي) مـن المجتمع بصفة عامة[1].

وهنا نلحظ مخالفة واضحة من (دوركايم) لآراء (كانط) في تحديد التربية، وغاياتها، (فكـانط) وضـع التربيـة بإطـار فردي أَخلاقـي مرتبطـة بفكرة الإنسـانية، وجعل منهـا نظامًـا عالميًا كونيًا، أَمَّا (دوركايم)، فهو ينتقد أَصحاب الاتجاه الفردي في تحديد غاية التربية، ويحدد غايـة التربيـة بأَنَّهـا شـيء اجتمـاعي، ولا يمكـن اعتبـار قـانون السـعادة غير خاضـع لمفهوم الهويـة؛ لأَنَّ السعادة هي شيء جوهري فردي يختلف من شخص إِلى آخر، ومن مجتمع إِلى آخر.

ثانيًا: مفهوم البيداغوجيا بين كانط ودوركايم:

بما أَنَّ البيداغوجيا(*) (Pedagogy) هي عبارة نظرية تربوية علمية عامة، ذات بعد نظـري وتطبيقـي وتـوجيهي، مرتبطـة بعلاقـة وثيقـة بالمـدرس، والمـتعلم، منفتحـة علـى الإدارة والأُسرة والمحيط الخـارجي الذي يؤثر فـي المدرسـة، فهـي تلك النظريـة التربويـة التـي تهتم بالناشئة من الأَطفال، وتُعدُّ البيداغوجيا مفهومًا عامًا مرتبطًا بالتربية ارتباطًا مباشرًا، وعمـل فيـه أَغلـب الفلاسـفة الـذين اشـتهروا بمجـال فلسـفة التربيـة، ومـن بيـنهم " كـانط" و"دوركـايم"؛ إِذ كانـت لهـم نظريـات فاعلـة فـي هـذا المجـال، عـالجوا مـن خلالهـا مفهـوم البيـداغوجيا وعلاقتهـا بفلسفة التربيـة، سنحـاول مـن خـلال هـذه النقطـة بيـان آرائهـم وتحديـد أَوجه التشابه والاختلاف بينهما في دراسة مقارنة بين كلتا نظرياتهما.

"فكانط" لم يكتفِ بدراسة نظرية المعرفة على أُسس نقدية؛ بل تناول فلسفة التربية وكانت له آراء فاعلة في هذا المجال، ولم يكتفِ بها أَيضًا؛ إِنَّما وضع حلول عدة لمفهوم البيداغوجيا؛ إِذ كان أَقدر الفلاسفة على ربط الصلة بما هو عيني، وكان النسق الفلسفي لا يؤهله مبدئيا لذلك؛ ولذلك قدم في البيداغوجيا حلولا متوازنة تنمي عن حسه التربوي السليم. ونجـده أَنَّـه قـد نبهنـا أَنَّ كـل شـيء فـي التربيـة يعـود إِلـى التجربـة، ونلـتمس فـي فلسـفته

---

1) ينظر: مسعودة، خالدي، التربية والبيداغوجيا في فكر اميل دوركايم، مجلة جيل العلوم الانسانية، العدد، 50، تاريخ النشر، 2019/3/6، ص71، http://jilrc.com/ .

*

الأَخلاقية، والميتافيزيقية آراء بيداغوجية في كل لحظة؛ لكي لا نتيه في المجرد، وإنَّما لنعود بواسطة هذه الأَفكار إِلى العيني، أَي إِلى واقع الطفل وعلاقته بالأُسرة والمجتمع[1].

فالطفل يحتاج في بداية حياته إِلى العديد من الممارسات والأَساليب من أَجل تنمية الملكات الذاتية لديه ليتعلم ويصير قادرًا على أَن يكون عنصراً فعالاً في المجتمع قادرًا على إدارة نفسه وغاياته متحملاً في ذلك المسؤولية الكاملة.

أَمَّا ما يخص مفهوم البيداغوجيا عند "دوركايم" كان وقبل كل شيء يفرق ما بين مفهومي التربية، والبيداغوجيا، فالتربية عنده هي " الفعل الذي يمارسه الآباء والمعلمون على الأَطفال، وهو فعل يتميز بديمومته وعموميته؛ إذ لا توجد مرحلة ما في الحياة الاجتماعية أو لحظة من لحظات الحياة اليومية، لا يتعرض فيها الأَطفال لعملية الاتصال مع الراشدين، ولتأثيرهم التربوي، فالتأثير التربوي لا يحدث في إطار اللحظات القصيرة فحسب، الَّتي يتواصل فيها الآباء والمعلمون بشك واع مع صغارهم عن طريق التعليم والذي ينقلون من خلاله لهؤلاء الأَطفال حاصل خبراتهم الحياتية"[2] .

فالبيداغوجيا هي شيء آخر مختلف تمام الاختلاف عن علم التربية كما يراها "دوركايم" إذ يقول: "من الصعوبة هنا أَن نجد حدودًا وسطى بين هذين المفهومين المتداخلين، إذ إِنَّنا نسمي فناً أَي نتاج فكري، وهو شيء آخر غير العلم (Science) ذلك يعني اعطاء كلمة (فن) استطالة واسعة لحدودها حيث تشمل اشياء مختلفة جداً "[3].

ونلحظ هنا وجود اختلاف واضح ما بين رؤية كلا الفيلسوفين حول مفهوم البيداغوجيا، إذ إِنَّ "كانط" يربط البيداغوجيا بالتربية؛ إذ عدَّها علمًا مرتبطًا بالتربية يتناول التربية الجسدية والعقلية والأَخلاقية، أَي إِنَّه جعل لها حلولًا موازية لحلوله حول التربية، وأَمَّا نظرته إليها هي نظرة خاصة، إذ يعدُّها فناً من الفنون، وأَطلق عليها تسمية (فن التربية)، ويعتقد أَنَّ هذا الفن علمًا تستكمل ممارساته من الكثير من الأَجيال فكل جيل يستفيد من معارف الأَجيال السابقة؛ إذ يكون على هذا الأَساس أَكثر قدرة على إرساء تربية تنمي وتطور

1) ينظر : كانط ، إمانويل ، تأملات في التربية، ص5.

2) ينظر: دوركهايم، إميل، التربية والمجتمع، ص92.

3) ينظر: دوركهايم، إميل، التربية والمجتمع، ص104.

الاستعدادات الطبيعية في الإنسان على شرط أَن تكون هذه التنمية تنمية هادفة ومتوازنة. وعلى هذا الأَساس فالبيداغوجيا وفق رؤيته تقود هذا النوع البشري بأكمله إلى غايته. ويعترف "كانط" بصعوبة هذا الفن؛ إذ يقول: " ثمة اكتشافان إنسانيان يحق لنا أن نعتبرهما أصعب الاكتشافات، وهما فن سياسة البشر وفن تربيتهم. ومع ذلك لا نزال نجادل في هذه الأَفكار المطلقة" [1].

ولأَنَّه يعترف بصعوبة تربية البشر وسياستهم يقترح تأسيس البيداغوجيا بوصفها علماً قائم على النظر، والتفكير لتطوير الاستعدادات الإنسانية باتجاه الكمال، وإنَّ مشروع التربية غاية في كمال الإنسانية إلَّا أَنَّ ذلك لا يأتي إلَّا بالعمل؛ إذ يقول: "بمقدورنا العمل على صياغة مخطط لتربية متوافق مع غاية الإنسان وتوريث الأَجيال القادمة تعليمات تستطيع تحقيقها بالتدريج" [2].

فضلاً عن ذلك فقد عدَ "كانط" البيداغوجيا مشابهة لنظرية التربية؛ أي إنَّه أَعطاها بعداً كونياً عالمياً، والمفهوم قام على أَساسين: [3]

الأَوَّل: يكون سلبيًا، يتمثل في الضبط والتلقين والانضباط والامتثال للمبادئ والقوانين بشكل آلي ومباشر، ويكون ذلك عبر منع الطفل من الوقوع في الأَخطاء والنزوات وتجنيبه النزوع نحو الوحشية.

ثانيًا: إيجابيًا متمثلًا بالأَخلاق وهذه المرحلة يأتي فيها دور تعليم الطفل، وتلقينه المهارات وتنمية الاستعدادات مثل: (القراءة، والكتابة، والموسيقى) وكذلك تلقين المبادئ الأَخلاقية.

وأَمَّا رؤية "دوركايم" فهو لا يُعدُّ البيداغوجيا فن لأَنَّ الفن في الواقع، وحسب ما يراه يقوم على مجموعة من العادات والممارسات والحذق المنظم، ويرى أَنَّ فن التربية هو شيء آخر مختلف عن البيداغوجيا؛ لأَنَّ هذا الفن يتمثل بالطرائق التي يبتكرها البيداغوجي لنفسه،

---

1) كانط ، إمانويل ، تأملات في التربية، ص 17_18.

2) المصدر نفسه ، ص15

3) ينظر : بوسلهام، سمير، كانط بين التربية والتنوير، موقع أنفاس، ANFASSE ORG، تاريخ النشر، 14، اب، 2012 ، ص4، https://anfasse.org/e-cle/yxqr9849209/4829.html

وكذلك الخبرة العلمية التي يكتسبها المعلم، وكذلك يرى أَنَّ المعلم المتميز والذكي لا يشترط أَن يكون ملمًا بجميع نظريات البيداغوجيا على العكس؛ إذ يرى أَنَّه قد يكون عالم التربية أَقل دراية من الناحية العلمية من البيداغوجي، وفي الوقت ذاته لا يراها علماً، إذ يقول: " البيداغوجيا بوضعها الحالي ليست ذلك العلم، وهذه التفرق ضرورية حتى لا نحكم على النظريات البيداغوجية بمقتضى المبادئ التي لا توائم إِلَّا الأَبحاث العلمية الخالصة، فالعلم يجب ان يبحث بأقصى ما يمكن من الحذر، ولا يتحتم عليه ان يصل إِلى غاية في وقت معين "[1].

وبذلك يتوصل " دوركايم" أَنَّ البيداغوجيا وفي نهاية الأَمر ما هي إِلَّا نوع من التفكير؛ إذ تعتمد كثَيراً على تنظيم الحقائق، إذ يتم ذلك من خلال دعمها بالوثائق على قدر المستطاع بحيث تتهيأ أَن تكون في النهاية في خدمة من يمارسون التعليم[2].

ثالثًا: الأَسس الدينية والأَخلاقية في مفهوم التربية عند كانط ودوركايم:

الأَخلاق والدين من المشكلات الفلسفية المميَّزة والعويصة في تاريخ الفلسفة، وركن من أَركانها الأَساسية، تناول أَغلب الفلاسفة في كل عصر من العصور الفلسفية مشكلة الأَخلاق والدين، ومن بين الفلاسفة "كانط" و"دوركايم"، إذ يُعدَّان من الفلاسفة الذين عدُّوا الأَخلاق والدين من الأُسس الفلسفية المميَّزة، إذ إِنَّهما يدخلان في جميع جوانب فلسفتهم، ومنها فلسفة التربية، فالأَخلاق والدين عنصران مميَّزان في الجانب التربوي لا يمكن الاستغناء عنهما، ولاسيَّما عند كل من " كانط" و" دوركايم". سنحاول بيان أَهميتهما في التربية عند كلا الفيلسوفين .

أَوَّلاً: التربية بالأَخلاق عند كانط، ودوركايم :

"كانط" و"دوركايم" قد استعملوا مفهوم التربية من أَجل غرس المفاهيم الأَخلاقية عند الأَطفال والناشئة؛ ولكن لكل منهم أُسلوبه وتوجهه، ونحن كما تناولنا سابقًا أَنَّ غايات وأَهداف التربية عند "كانط" هي بلوغ الكمال الأَخلاقي بحيث إذ كان يشدد على التنشئة الخلقية، إذ يقول: " لا بدَّ من الحرص على التنشئة الخلقية فينبغي أَن لا يكون الإنسان

1) ينظر : دوركايم، إميل ، التربية الاخلاقية، ص3..

2) المصدر نفسه، ص4

مؤهلاً لشتى أَنواع الغايات فحسب، بل ينبغي أَيضًا أَن يكتسب إحساسًا يجعله لا يختار إِلَّا الغايات الحسنة، وهي التي يتبناها بالضرورة كل شخص ويمكن أَن تكون في الوقت ذاته غايات كل إنسان"[1].

وهذا ما سعى إِليه (كانط)، ولذلك جعل من التربية مرتبطة بالأَخلاق فهو يعتقد أَن التربية الأَخلاقية كما بيناها سابقًا يجب أَن تقوم على قواعد أَخلاقية، أَي إِنَّها معترضة مع مفهوم الانضباط، فالانضباط يمنع العيوب؛ أَمَّا الأَخلاق تنمي طريقة التفكير فينبغي الحرص عليها ليعتاد الطفل التصرف وفق هذه المبادئ، أَي إِنَّ هذه القواعد أَو المبادئ الأَخلاقية تقوم على طريقة التفكير؛ إِذ تعمل على تعويد الطفل العمل على ما تقتضيه القواعد الأَخلاقية لا بحسب دوافع معينة[2].

فالتربية الأَخلاقية وفق رؤيته مرتبطة بالتفكير، وهي غالباً ما تبدأ في المُدَّة الثانية من التربية؛ إِذ تمثل الفترة الاولى الفترة السلبية الَّتي تسير على الامتثال والطاعة، أَمَّا المُدَّة الثانية فهي معتمدة على أَعمال التفكير وممارسة حريته، وهي قائمة على نظام أَخلاقي[3]؛ لذلك نجده يقول: " لا تنتهي التربية بالترويض فمن المهم وقبل كل شيء أَن يتعلم الأَطفال التفكير وهذا الأَمر يخص المبادئ التي تترتب عليها كل الأَفعال، وهكذا ندرك أَنَّه لابد في تربية حقيقية من إنجاز الكثير"[4].

وهنا يكمن أَساس التفكير التربوي لديه وفي تربيته الأَخلاقية العقلانية، من خلال فهمه للتربية والتعليم المتمثلة في تربية فكر الإنسان، وتهذيب أَخلاقه، فالخطوة الأُولى والمهمة في تربية الطفل، هي أَن يتعلم الطفل التفكير في كل شيء، بحيث يعرف الأَفعال الحسنة والتمسك بها، والقبيحة، والابتعاد عنها، ليس لأَنَّ الله نهى عنها، بل لأَنَّه عمل غير صحيح ومذموم[5].

1) كانط، إمانويل ، تأملات في التربية ، ص22_23.

2) ينظر : بدوي، عبدالرحمن، ص114. ينظر: كانط، إمانويل،ص58.

3) المصدر نفسه، ص25.

4) المصدر نفسه، ص23.

5) ينظر: وزادة، طيبة ماهر، فلسفة كانت التربوية، تعريب: عبدالرحمن العلوي،ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2001م ، ص214.

وهنا يتَّضح أَنَّ "دوركايم" يوافق "كانط" في الفكرة السابقة أي أَن تبدأ التربية الأَخلاقية للطفل مع مرحلة الطفولة الثانية(*) وأَن تكون قائمة على التفكير العقلي قائلاً: ((يتحتم علينا تلقينه مبادئ الأخلاق وأَلَّا تعذر علينا ذلك فيما بعد. فيجب أَن نسارع إلى إتمام ما بدأناه من تربية خلقية، وأَن نهتم أَكثر من ذي قبل بتهذيب الشعور الخلقي وصبغه بصبغة عقلية، وذلك بإخضاعه شيئًا فشيئًا لمبادئ التفكير العقلي))[1] .

ويتفق دوركايم مع فكرة كانط بأَنَّ: " التربية العمومية الكاملة فهي تجمع بين شيئين: التعليم والثقافة الأَخلاقية، وأَنَّ غايتها تحقيق تربية سليمة خاصة "[2].

والتربية الأَخلاقية عند كلا الفيلسوفين يتم تعليمها في المدارس العمومية، وليس في الأُسرة، ولا في التربية الخاصة؛ إذ يقول "دوركايم" في هذا الصدد: " المدارس العامة بحكم وضعها هي الأَداة المنظمة لتربية الوطنية، فضلًا عن ذلك فإِنَّه على العكس مِمَّا يشاع كثيرًا من أَنَّ الأُسرة هي التي يجب أَن تطلع وحدها بعبء التربية الأَخلاقية فإِنِّي أَقرُّ أَنَّ ما تقوم به المدرسة من التكوين الخلقي للطفل يمكن؛ بل يجب أَن يكون على غاية من الأَهمية، فإِنَّ جزءًا من هذه الثقافة الأَخلاقية بل أَبرز جزء منها لا يمكن تلقينه في أَي مكان آخر "[3].

أَمَّا رؤية "كانط" الفلسفية للتربية الأَخلاقية فهي رؤية (ذاتية فردية تسعى إِلى تثقيف ذات الفرد، من أَجل أَن يستطيع العيش كائنًا حراً فاعلًا في المجتمع)، ولذلك يربط التربية الأَخلاقية بحرية ذات الفرد وتنميتها وتكوينها؛ إذ يقول: "هي تربية ترمي إِلى تكوين الشخصية، وتربية كائن يتصرف بحرية ويقدر على الاكتفاء بذاته، وعلى أَن يكون عضوًا في المجتمع؛ ولكنه قادرًا أَيضًا على أَن يمتلك لنفسه قيمة ذاتية" [4].

---

*) تبدأ هذه المرحلة مع فترة الانتهاء من تربية الاطفال في داخل محيط الأُسرة الى مرحلة التربية في داخل محيط المدرسة.

1) دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ت، السيد محمد بدوي، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دت، ص18_19.

2) كانط، إمانويل ، تأملات في التربية، ص25.

3) دوركايم: التربية الأَخلاقية، ص19.

4) كانط، إمانويل ، تأملات في التربية، ص28.

أَمَّا " دوركايم" وبالصدد نفسه يعارض فكرة "كانط"؛ إذ يبدأ اعتراضه بسؤال مميّز جداً يقول مستفهماً: " ما الذي يثبت لنا أَنَّ الغاية من الأَخلاق هو تحقيق الطبيعة الإنسانية؛ ولماذا لا تكون مهمتها الوفاء بمصالح المجتمع؟ أنستبدل مصالح المجتمع بمصلحة الفرد؟ ولكن باي حق نفعل ذلك؟"[1].

لذلك كان " لدوركايم" إجابة مغايرة عن تلك الأَسئلة التي تقول تقول بأسبقية الأَخلاق الذاتية والفردية على أَخلاق المجتمع، ومن ضمنها فلسفة " كانط"؛ إذ يجيب على الأَسئلة بقوله: " الحق إنَّنا لا نستطيع أَن نبني أَساسًا للخلق العملي على هذه الفروض الذاتية، ولا نستطيع بمقتضى هذه الصروح الجدلية الخالصة ان ننظم التربية التي تحق لأبنائنا علينا"[2].

ونستنتج مِمَّا سبق أَنَّ التربية الأَخلاقية تقوم على روح الجماعة، والفرد في فلسفة (دوركايم) الأَخلاقية والتربوية لا يتمتع بالحرية الكاملة؛ بل هو خاضع للعادات والقواعد المجتمعية التي يخضع لها المجتمع الذي يعيش فيه. فالأَخلاق الدوركايمية غايتها ليست تحقيق الطبيعية الإنسانية في ذات الفرد فقط؛ إنَّما تحقيق مصالح المجتمع الذي ينتمي اليه. وقد بين "دوركايم" ذلك بقوله: "من أَخلاق الشعوب المعروفة وأُولى هذه الملاحظات هي أَنَّ الصفة الأَخلاقية لم يسبق أَن انطبقت في الواقع أَبدًا على فعل اقتصر موضوعه على المصلحة الفردية، أَو الكمال الفردي، المفهوم على نحو أناني بحت"[3].

"فدوركايم" وفي هذا الموضع يوجه نقدًا لفكرة "كانط" السابقة بقوله: "لقد عرضنا الحل الذي اقترحه كانط لهذه المشكلة التي أَحس بصعوبتها؛ بل كان أَوَّل من أَوضحها، فهو يؤمن بأنَّ الاستقلال هو المبدأ الأَساسي للأخلاق، فالواقع أَنَّ عمل الأَخلاق ينحصر في تحقيق غايات عامة غير شخصية، مستقلة عن الفرد وأَغراضه الخاصة، على أَنَّ العقل

1) دوركايم: التربية الأخلاقية، ص 23.

2) المصدر نفسه، ص23.

3) دوركايم: إميل، علم اجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص70.

يتجه بطبيعته ومن تلقاء ذاته نحو العام و ألىلا شخصي، لأَنَّه واحد لدى جميع الناس؛ بل لدى كل الكائنات العاقلة"[1].

وعند دراسة نظرية التربية الأَخلاقية لدى "كانط"، القائلة: "إذا أَردنا تأسيس الخلقية ينبغي تجنب العقاب، فالخلقية هي أَمر في غاية القداسة والسمو بحيث ينبغي أَن لا نبخسها بهذه الصورة وأَن لا نضعها هي والانضباط في نفس المرتبة"[2].

ومن أَجل بناء وتأسيس الخلقية لدى الأَطفال نلاحظ أَنَّه يدعو إلى تجنب العقاب شريطة أَن يطيع المعلم وولي الأَمر، فإنَّ انعدام الطاعة لدى الطفل يؤدي إلى العقاب، بحيث لا يكون العقاب بلا موجب في الحالة نفسها التي كانت مخالفته بها صادرة عن سهو. " فكانط يقسم العقاب إلى قسمين :

عقاب مادي يتمثل بنوعين من العقاب أَمَّا بالرفض عن توفير ما يرغب فيه الطفل؛ أَو تطبيق الجزاء عليه.

وعقاب معنوي، وهو عبارة عن تصادم الميول لدى الطفل في المعاملة، وهو عندما نشعر الطفل بالخزي ، ونعامله ببرود شديد. فإنَّ هذا النوع من العقاب من أَفضل الأَنواع؛ لأَنَّها تقدم العون للخلقية. ولكن يحذرنا من الإفراط في استعمال العقوبات بأَن نطبقها بحذر، حتى لا ينتج عنها استعداد إلَّا الخنوع[3].

وعلى هذا الأَساس فالجهد الأَوَّل في التربية الأَخلاقية هو تكوين الطبع لدى الأَطفال، فالطبع يكون في القدرة على التصرف تبعًا للمبادئ، وهذه المبادئ مقسمة إلى قسمين[4]:

الأُولى: مبادئ المدرسة، والثانية: مبادئ الإنسانية، وتعدُّ هذه المبادئ قوانين أَيضًا، لكنها قوانين ذاتية؛ إذ يمتثل الطفل لهذه القوانين التي تنبع من فاهمة الإنسان الخاصة[5].

ويتطابق هذا الرأي مع فكرة " دوركايم" حينما حاول بيان كيفية بسط السلطة الأَخلاقية وشروطها على التلاميذ من المعلم؛ إذ بيَّن أَنَّ هناك صفات فردية يجب توافرها

1) دوركايم: التربية الأخلاقية ، ص109.

2) كانط، إمانويل ، تأملات في التربية، ص59.

3) المصدر نفسه، ص61.

4) ينظر: دوركايم: التربية الأخلاقية، ص150.

5) المصدر نفسه، ص59.

في المعلم على وجه الخصوص مثل: الإرادة، وقوة العزيمة. وشروط ثانوية يشعر من خلالها المعلم وقبل كل شيء شعورًا بحقيقة السلطة، فالسلطة هنا قوة معنوية لا يستطيع المعلم أَن يبينها إِلَّا إذا امتلكها. وفي هذه الحالة يظهر" دوركايم" رفضه للعقاب في بسط السلطة حين يفرق بين الخوف من العقاب واحترام القانون لذاته؛ إذ يقول: " الخوف من العقاب شيء، واحترام القاعدة شيء آخر، والعقاب لا تكون له صفة أَخلاقية؛ إِلَّا إذا اقتنع المذنب بأَنَّ العقاب الذي يوقع عليه عادلًا؛ وهذا يتضمن في الواقع الاقتناع بأَنَّ السلطة التي توقع العقوبة سلطة شرعية عادلة، وعلى ذلك فالمعلم يجب الا يستمد سلطته من الخارج، أَي من الخوف الذي يثيره في النفوس من فكرة العقاب؛ بل يستمدها من شخصيته والسلطة الحقيقية لا تأتيه الا من داخلية نفسه"[1].

وهذا دليل واضح وصريح لرفض فكرة العقاب في ترسيخ التربية الأَخلاقية في نفوس التلاميذ؛ بل تكون مستمدة من شخصية الاستاذ التي تكون نابعة من داخل نفسه، وهذه الفكرة مشابهة تمامًا لفكرة كانط السابقة والقائلة إن السلطة نابعة من الذات الفاهمة.

وأَمَّا في مسألة التربية الجنسية كان لكلاهما آراء فيها، أَمَّا " كانط" يرى أَنَّه بعدما يبلغ الفرد سن المراهقة، وتسدل الطبيعة ستار السرية؛ إذ يأتي في المقام الأَوَّل اختلاف الجنسين، وتظهر الحاجات الحيوانية في الإنسان، على الرغم من أَنَّ الطبيعة سعت إِلى ربط هذه الحاجات بكل نوع ممكن من الخلقية، حينها يتبادر بعض الأَسئلة إِلى أَذهان الأَطفال البالغين سن المراهقة يطرحونها على الكبار، هنا يدعو أَن تأخذ هذه الأَسئلة على محمل الجد والإجابة عليها بأجوبة عقلانية لا كما فعلته التربية السابقة وما تحمله من زجر او تهكم؛ لأَنَّ هذه الغرائز يكون نموها بشكل آلي فمن المستحيل إبقاء المراهق في جهل وما يقترن فيه من براءة [2].

وهنا يدعو " كانط" إِلى معالجة أَعراض هذه الحالة وتخفيفها بتوجيه بعض النصائح والإرشادات يمكن للمراهق اتباعها؛ إذ إِنَّها تبدأ في سن الثالث عشر أَو الرابعة

---

1) المصدر نفسه، ص149.

2) ينظر: كانط، إمانويل ، تأملات في التربية، ص78.

عشر، وفي هذا السن يكون المراهق قد تكونت لديه ملكة الحكم الذي أَعدَّتها الطبيعِة ومن أَبرز هذه النصائح والإرشادات[1]:

أ) لا شيء يضعف الإنسان وجسمه أَكثر من المتعة الموجهة إِلى الذات، والمناقضة تمامًا لطبيعة الإِنسان، لذلك يجب أَن لا نخفي هذا للطفل، ونصور له كل ما يثير الاشمئزاز .

ب) ينبغي استبعاد الدوافع التي تقود إِلى ذلك، بنشاطات تشغله، وعدم تخصيص وقت أَكثر من اللازم للفراش والنوم، ويمارس للياقة والاحترام للجنس الآخر .

ت) طرد الأَفكار والنشاطات الجنسية من المخيلة فهي تنخر القوة الحيوية.

ث) يجب تنمية المشاعر الإِنسانية تجاه الآخرين، ثم المشاعر الإِنسانية، فإِنَّ في نفوسنا شيئًا يجعلنا نعير عناية لذواتنا .

ج) ينبغي تعليمهم ضرورة تقدير كل متعة توفرها ملذات الحياة، وبذلك يمحي الخوف الطفولي من الموت.

ح) ضرورة تعليمهم محاسبة النفس كل يوم، حتى يستطيعوا في آخر حياتهم تقدير قيمتها.

وأَمَّا فيما يخص آراء "دوركايم" في التربية الجنسية فنجده يطرحُ سؤالاً : لماذا يعدُّ الزهد وكبح الشهوات واجبًا؟ وكيف يمكن كشف أَسباب هذا الواجب على الشباب وإِقناعهم بهذا الواجب؟ يجيب "دوركايم" على هذا السؤال بأَنَّ الاعتراف بوجود علاقات حرة في المجتمع يؤدي إِلى خلق مشكلات أَخلاقية، وفيزيقية، مثل الولادات غير الشرعية، وكذلك الاضطرابات الأُسرية، وهنا نجده يعالج الموضوع بحل جذري؛ إِذ يقترح موضوع (الزواج) فالزواج هو المنظم المجتمعي الثابت، الَّذي من خلاله يكون المجتمع منتظم في علاقاته الأُسرية؛ إِذ يؤكِّد على إِقناع الشباب بأَنَّ الزواج هو الوضع القانوني الصحيح، وأَنَّ العلاقات غير الشرعية هي أَمر غير أَخلاقي، وضار في الوقت نفسه.

ولذلك يدعو إِلى عدم تبسيط التربية الجنسية عند تعليمها للشباب حتى لا تكون مشوهة، إِذ تحمل في طياتها تداعيات أَخلاقية إِذا تم تعليمها على أَنَّها مجرد مظهر من مظاهر الوظيفة البيولوجية[2].

---

1) المصدر نفسه، ص80_81.

2) Émile DURKHEIM (1911): «Débat sur l'éducation sexuelle»Extrait du Bulletin de la Société française de philosophie,1911, 11, pp. 33 à 47.

ويتضح لنا أَنَّ "دوركايم" تأثر كثيرًا بالفيلسوف " كانط" في مسألة التربية الجنسية ولاسيَّما في فكرة شعوره بأَنَّ هناك شيئًا ما في الاتصال الجنسي يسيء إلى الشعور الأَخلاقي في قوله: (يعمل الفرد بوصفه أَداة لإسعاد فرد آخر، وهذا ما يتعارض مع كرامة الإنسان)، لكن (دوركايم) يعتقد ان القلق الذي يسببه هذا الفعل غير الشرعي أَكثر عمومية وأَعمق، وهو الشعور الذي هو أَساس أَخلاقنا وهو الاحترام الذي يلهمه الإنسان في الإنسان[1].

ثانيًا: مكانة الدين في التربية عند كانط ودوركايم:

بما أَنَّ الدين يُعدُّ موضوعًا أَساسيًا من مواضيع الفلسفة العامة، فهو كذلك فلسفة التربية، إذ لا يمكن الاستغناء عنه في هذا المجال؛ لأَنَّه يدخل في جميع المجالات الحياتية، والفكرية، للإنسان ومنها التربية، ولو تتبعنا أَبرز الأَفكار الدينية عند كل الفلاسفة نجدهم متفقين على طرح فكرة الدين، لكنهم مختلفين في طريقة التدين. وهذا الحال ينطبق على كل من " كانط" و" دوركايم" . فالدين عنصر أَساسي ضمن أَفكارهم ونظرياتهم التربوية.

إذ يعتقد " كانط" أَنَّ تربية الأَطفال لها صلة وثيقة وعلاقة مترابطة مع الدين ولذلك نجده وفي بداية بحثه في هذا المضمار يطرح سؤالاً في غاية الأَهميَّة؛ إذ يؤسس عليه فكرة مكانة الدين في التربية بقوله: " ما إذا كان بالإمكان تلقين الأَطفال مفاهيم دينية منذ سن مبكر؟"[2].

ويُعدُّ هذا السؤال من أَبرز الأَسئلة البيداغوجية التي طرحها "كانط"، الَّتي طرحها قبله (جان جاك روسو) ويستفهم من خلاله عن مدى إمكانية تلقين المبادئ اللاهوتية للأَطفال

Texte, reproduit in Émile Durkheim. Textes. 2. Religion, morale, anomie (pp. 241 à 251). Paris: Les Éditions de Minuit, 1975, 508 pages. Collection: Le sens communf,hs بواسطة زمام، نور الدين ، قراءة في مقال دوركهايم، نقاش حول التربية الجنسية، مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، 2018، https://www.academia.edu/33369217

1 Philosophie française, 11, 1911, p. 33-47 reproduit dans Emile Durkheim, transcriptions. 2. Religion, étiquette, perversion, p. 241-251. Paris: Éditions de Minuit, 1975, 508 p.10.

2) كانط، إمانويل، تاملات في التربية، ص74.

الذين لم يتعرفوا بعد على انفسهم والعالم؟ كيف للطفل الذي لم يعرف بعد واجبه تجاه نفسه أَن يفهم ويعرف واجبه تجاه الرب؟[1].

في صدد الإجابة عن الأَسئلة السابقة يعرف (كانط) الدين بأَنَّه: " هو القانون الذي يوجد فينا، على اعتبار أَنَّه يستمد سلطته علينا من مشروع وقاض: فهو أَخلاق مطبقة على معرفة الله. فلو لم يكن الدين مرتبطًا بالخلقية لكان بحثاً عن الحظوة فحسب"[2].

إذ يعتقد أَنَّنا لو نتأمل إذا ما صادفنا أَطفالًا لم يشهدوا أَي عبادة للكائن الأعلى (الله) ولم يسمعوا به من أَبدًا فإنَّه سيكون من الطبيعي والضروري أَن نجذب انتباههم إلى غايات الإنسان، وطموحاته في تحقيقها، وفي هذه الحالة وجب علينا تنمية ملكة الحكم لديهم، من خلال تعليمهم ما في الطبيعة من نظام، وجمال، وعلم ، ودقة في نظام الكون. فتلك الأَشياء هي مقدمات تمهد لهم الأَساس لإدراك مفهوم (الله)[3].

لكن الرأي الذي طرحه " كانط" بشأن علاقة الدين بالتربية لا يتوافق مع ما يراه "دوركايم" ويدعو إليه أي إنَّه لا يؤمن بوجود الإله او الكائن الاسمى، وإنَّه عدَّ المجتمع هو (الله)، وأَيضًا فهو ينكر أثر الدين في التربية، ويسعى إلى تأسيس تربية دنيوية عقلية خالصة بعيدة عن التعاليم الدينية والأَديان المنزلة؛ إذ يقول: " لقد استقر عزمنا على أَن تكون التربية الخلقية التي نلقنها لأبنائنا في المدارس ذات صبغة دنيوية محضة، ونعني بذلك التربية التي لا تستند إلى المبادئ التي تقوم عليها الديانات المنزلة، إنَّما ترتكز على أَفكار ومبادئ يبررها العقل وحده؛ أَي إنَّها في كلمة تربية عقلية خالصة"[4].

وبما أَنَّ "كانط" يدعو إلى تجنب تلقين الأَطفال مفاهيم دينية في وقت مبكر في حياتهم، وذلك حرصًا على أَن لا تتسرب فكرة الأُلوهية إلى مخيلتهم، فتنشأ فيهم اللامبالاة تجاه الآلهة، وأَفكار أُخرى غير معقولة، مثل الخوف من القدرة الإلهية. وكذلك أَنَّ السبيل الصحيح يجب أَن يكون التعليم ملائم للطبيعة؛ من أَجل أَن يكون الطفل قادراً على تكوين مفهومًا مجرداً للواجب، ولضروب الإلزام ويتعلم التصرف الحسن، من التصرف القبيح،

1) المصدر نفسه، ص74.

2) كانط، إمانويل، تاملات في التربية، ص75.

3) ينظر: بدوي، عبدالرحمن، قلسفة الدين والتربية عند كنت، ص157.

4) دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ص5.

فالطفل من خلال ذلك سوف يدرك أَنَّ هناك قانونًا يسمى قانون الواجب، وعليه أَن يخضع لهذا القانون ولا ينقاد خلف الشعور بالرفاه للمنفعة؛ بل لشيء كلي غير خاضع لنزوات البشر [1].

ومن أَجل تكوين لدى الأَطفال فكرة صحيحة لدى الأَطفال عن (الله) فهو يربط فكرة الله بفكرة الطبيعة اولاً، وفكرة الأُبوة ثانياً، وذلك من خلال النص التالي: "يجب أَوَّلًا أَن ينسب كل شيء إِلى الطبيعة، ثم أَن تنسب هذه الأَخيرة إِلى الله، فنبين مثلًا في المقام الأَوَّل كيف أَنَّ كل شيء معد من أَجل المحافظة على الأَنواع وتوازنها ولكن؛ في الوقت نفسه أَيضًا على نحو أَبعد، من أَجل الإنسان بحيث يستطيع أَن يصير سعيداً، وتكون أَفضل طريقة لتوضيح مفهوم الإِله هي المماثلة بالأَب الذي نعيش تحت حمايته"[2].

بينما "دوركايم" ينتقد تلك المجتمعات والشعوب البدائية وكذلك والأَفكار التي تؤسس التربية على أُسس دينية؛ إِذ تكون الواجبات في تلك الشعوب قائمة ليس على تعليم الطفل علاقته بغيره من الناس؛ إِنَّما تعلمه واجباته تجاه الآلهة، من خلال تعليمه الشعائر المفروضة، وكيفية تأديتها، وإِلزامهم بالوفاء بحق الآلهة، والتضحية بالنفس إذا لزم الأَمر، أَمَّا فيما يخص الخلق الإِنساني فالطفل لا يتلقى إِلَّا شيء بسيط من المبادئ الَّتي إِذا انتهكها لا يلقى إِلَّا عقابًا يسيرًا؛ لأَنَّها ليست من صميم الأَخلاق، فتربية المجتمعات السابقة كانت ذات صبغة دينية خالصة، لذلك يعتقد أَنَّ المعلومات الدينية التي تصلح وحدها؛ لأَنَّ تكون أَساسًا للتربية تضع نصب عينها وقبل كل شيء تعليم الإِنسان ما يجب عمله نحو الكائنات المقدسة، لا تصلح أَن تكون تربية في الوقت الحاضر؛ لأَنَّ الأَوضاع تغيرت وتعددت الواجبات الإِنسانية، في حين أَنَّ بعض الواجبات الأُخرى التي لا تتصل بالمحيط الإِنساني بدأت تضمحل وتنتهي[3].

وكذلك يسعى إِلى اكتشاف الرموز العقلية للأَفكار الدينية التي دائمًا ما تجر ركابها إِلى أَبرز الأَفكار الأَخلاقية، وذلك من خلال إِخضاع التربية، والأَخلاق إِلى العقل، الذي

1) ينظر: كانط، إمانويل، تاملات في التربية، ص75.

2) المصدر نفسه، ص75.

3) دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ص8.

سوف يؤدي إلى تجريد الحقيقة الأَخلاقية من كل ما هو ديني، وهذا الشيء سوف يؤدي إلى تجريد الأَخلاق من بعض عناصرها الذاتية[1].

أَمَّا من أَجل تلقين المفاهيم الدينية داخل نفوس الأَطفال يشدد "كانط" على تنمية القانون (الضمير) الذي يحمله الطفل في ذاته، فالإنسان يحتقر ذاته عندما يكون فاسداً، حيث إنَّ هذا الاحتقار ليس فقط؛ لأَنَّ الله حرم الشر ونهى عنه؛ إنَّما هو قائم في الإنسان نفسه، فالضمير عندما يستيقظ يتعلم الإنسان أَن يرى حسن تصرفه قادراً على جعله خليقًا بالسعادة، فالقانون الإلهي ينبغي أَن يتجلَّى في ذات الفرد بوصفه قانونًا طبيعيًا غير اعتباطي، ومن هذا المنظور يكون فهم الدين من منظور خلقي كامل، وذلك من خلال ربط الدين بالضمير الخلقي[2].

وعلى الرغم من ارتباط الدين بالأخلاق في فلسفة التربية عند (كانط)؛ لكنَّه يجعل منهما ميدانين منفصلين، أي أَن يكون التعليم فيهما يسير بشكل منفصل انفصالاً تامًا؛ لكن يجب أَن يسبق تعليم الأَخلاق تعليم الدين، وقد بين ذلك بقوله: " نبغي أَن لا نبدأ باللاهوت، فالدين الذي لا ينبني إلَّا على اللاهوت لا يمكن أَبدًا أَن ينطوي على جانب أَخلاقي، فلن نجد فيه من جهة سوى الخوف، ومن جهة أُخرى سوى مشاريع ونوايا توجهها فكرة الثواب، ولا ينتج عن ذلك إلَّا مجموعة من الشعائر تتسم بالتطير. فيجب إذًا أَن تكون الخلقية هي الأُولى، وأَن يتبعها اللاهوت، وهذا ما نسميه ديناً"[3].

وعن كيفية تلقين الأَطفال المفاهيم الدينية ينتقد "كانط" التربية الدينية التي كانت تسود في عصره، الَّتي كانت قائمة على التحفيظ، والتلقين، من خلال تلقين الأَطفال مبادئ الأَخلاق والدين، على نمط من المكافأة والتوبيخ. فعلى سبيل المثال ينهى عن معاقبة الطفل الكاذب؛ إنَّما يتعامل باحتقار وتهديد بعدم تصديقه في المستقبل، فالعقاب حين يفعل الشر، والمكافئة حين يفعل الخير، لا تجدي نفعًا، فهو حينها يفعل الخير لا لأجل الخير؛ إنَّما لآجل المكافأة والمعاملة الحسنة. وحينما يدخل إلى معترك الحياة يجد أَن الأُمور لا

1) دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ص11.

2) ينظر: كانط، إمانويل، تاملات في التربية، ص 76.

3) المصدر نفسه، ص76.

تسير على النحو السابق، وفي هذه الحالة سيصير إنسانًا لا يرى إلَّا كيف يشق بنجاح طريقه بغض النظر عما اذا كان طريقا حسنا، او غير حسن؛ بل حسبما يجده اكثر نفعاً[1].

وكذلك يشدد على تلقين المفاهيم الدينية للأطفال الذين لا يعرفونها، شريطة أَن يكون هذه سالبة أَكثر ما تكون موجبة؛ لأَنَّه يرى أَنَّ الدين لا يصلح أَن يكون فكرة سخيفة عن التقوى، يحمل على الأَطفال تلاوة بعض العبارات تلاوة آلية فالطريقة الحق في عبادة الله " تقوم على العمل وفق إرادته، وهذا ما ينبغي تدريسه للأطفال" [2].

هذه إشارة إلى أَن يتعلَّم الأَطفال الإحساس بالاحترام تجاه (الله) بصفته رب العالم بأَسره، وحامي البشر، والقاضي الذي يحكم في شؤونهم[3].

" فكانط" يدعو إلى تعليم الأَطفال مفهومي (الله) و(الواجب) معا في آن واحد، ذلك من أَجل أَن يدرك الأَطفال عناية الله في مخلوقاته وحمايته من النزع، والقسوة، فيكفوا في ذلك عن تعذيب الحيوانات والطيور، والحشرات، وكذلك تعليم الشباب من اكتشاف ما هو خير، وما هو شر[4].

أَمَّا دوركايم: فينتقد الأَفكار السابقة التي ذكرها "كانط" وقد جاء بأفكار مغايرة لها تماماً؛ إذ كان يدعو إلى انتزاع الأَفكار الدينية من المبادئ الاخلاقية، التي تعلم للأطفال، ونقد الفكرة التي فسرت على أَنَّ قدسية الأَخلاق مرتبطة بقدسية الدين، فهو يربط الحياة الدينية بحقيقة تجريبية خالصة تهيء تفسيراً مقنعاً إلى أَنَّ فكرة الإله التي تلجأ إليها الشعوب قديما ما هي إلَّا تعبيراً رمزياً عن الحقيقة لذلك يقول: "إذا لم نعن حين نضع برنامجا عقليًا للتربية بإبراز الطابع المقدس في الأَخلاق وإشعار الطفل به في صورة عقلية فإن الأَخلاق التي نلقنها له تصبح عارية من جلالها الطبيعي"[5].

1) ينظر: كانط، إمانويل، تاملات في التربية، ص59.

2) المصدر نفسه، ص77.

3) المصدر نفسه ، ص77.

4) المصدر نفسه، ص78.

5) ينظر: دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ص12.

ويدعو "دوركايم": إلى عدم الاكتفاء بتلقين الأَطفال الأَفكار الأَخلاقية الشائعة فقط الَّتي تعيش عليها الإنسانية؛ بل يدعو على أَن " نستعيض عن مصدر الوحي القديم الذي لم يعد يبعث في القلوب إلَّا صدى ضعيفًا خافتًا بمصدر آخر؛ وأَن نكشف بين انقاض النظام البائد عن القوى الأَخلاقية التي كانت تختبئ في أَشكال تحجب عن أَنظارنا طبيعتها الحقيقية حتى يتسنى لنا أَن نراها على حقيقتها، وأَن نعرف مقدار ملاءمتها لظروفنا الحاضرة؛ إذ إنَّها لا يجب أَن تظل جامدة بدون تطور"[1] فهو يؤكد على الأَخذ بالحسبان التغيرات التي تطرأ على التربية الأَخلاقية الخاضعة لنظام العقل، فالأَمر سوف يكون في غاية الصعوبة، ويجب أَن لا يدهشنا هذا الشيء أَو يثبط من عزائمنا، بل يجب أَن يكون هذا حافزًا على تحقيق ما هو أَعظم، وهذه دعوة يدعوها مواجهة الصعوبات التي تقابلنا في تأسيس تلك التربية الأَخلاقية القائمة على العقل، فإنَّ الصعوبات سوف تكون أَشد خطرًا علينا إذا حاولنا أَن نخفيها عن أَنفسنا وأَن نتفاداها تفاديًا لا يقوم على أَساس[2].

الخاتمة:

وأَخيرًا وفي نهاية دراستنا اعتقد أَنَّي حاولت تحليل ومقارنة آراء وأَفكار وآراء "كانط" و"دوركايم" في فلسفة التربية، الَّتي سعى إليها كل منهما خلال مسيرته الفلسفية الطويلة، وبناء على ما تم عرضه وتحليله في دراستنا المقارنة نتوصل إلى:

1) اتفق الفيلسوفان على أَنَّ التربية الأَخلاقية قائمة على التفكير العقلي؛ إذ كانا يشددان على ضرورة تعليم الطفل كيفية التفكير وبيان أَهميته.

2) يتفقان على أَنَّ التربية الأَخلاقية لا بد أَن تبدأ مع مرحلة الطفولة الثانية، وهي مرحلة انتقال الطفل من بيئة الأُسرة إلى بيئة المدرسة، وأَن تكون التربية في المدارس العمومية؛ لأَنَّ التربية العمومية الكاملة تجمع بين شيئين التعليم والثقافة الأَخلاقية، وغايتها تحقيق تربية سليمة خاصة.

3) يشدد كلا الفيلسوفين على تجنب العقاب في التربية الأَخلاقية، لأَنَّ " كانط" يرى أَنَّ العقاب ينتمي إلى مفهوم الانضباط، وأَمَّا التربية الأَخلاقية قائمة على قواعد أَخلاقية

---

1) ينظر: دوركايم، إميل، التربية الاخلاقية، ص15.

2) المصدر نفسه، ص16.

خـارج مفهـوم الانضـباط، أَمَّا "دوركـايم" فهـو لا يعدُّ العقـاب صـفة أَخلاقيـة إِلَّا إِذا كـان العقـاب الـذي يوجـه للمـذنب عـادلًا؛ ولـذلك يتفقـان أَنَّ المبـادئ الأَخلاقيـة نابعـة مـن ذات الشخص.

4) كلاهما طرح المشكلة الجنسية في الأَخلاق، وكلاهما اتفق على أَنَّ الاتصال الجنسي غير أَخلاقي يسيء إِلى الشعور الأَخلاقي، وهذا ما يتعارض مع كرامة الإِنسان. وكل منهما قدم حلول أَخلاقية لهذه المشكلة؛ لكنها حلول اختلفت عن بعضها، "فكانط" اكتفى بتوجيه النصح والإِرشاد وتقديم بعض الاقتراحات، أَمَّا "دوركايم" فكان يدعو إِلى الزواج بوصفه الحل القانوني والأَخلاقي الصحيح.

5) يتفق كلا الفيلسوفين على أَنَّ الدين لا يأتي في المرتبة الاولى في التربية؛ إِذ يرى "كانط" أَنَّ الدين ضروري في التربية؛ لكن الأَخلاق تسبقه في الأَهمية؛ أَي يشدِّد على بناء قانون الضمير في نفس الطفل قبل معرفته شيء عن فكرة الله، أَمَّا "دوركايم" يلغي دور الدين في التربية أَصلًا، ويسعى إِلى تأسيس نظام تربوي علماني.

6) يختلف كلا الفيلسوفين في تحديد طبيعة الأَنظمة التربوية "كانط" يدعو إِلى نظام تربوي استاتيكي، كوني وشامل على كل المجتمعات، غير خاضع لمفهومي الزمان، والمكان، كما يُعدُّ الفرد أَساساً للمنظومة التربوية؛ أَمَّا الرؤية الدوركايمية للأَنظمة التربوية فهي رؤية مختلفة متباينة؛ إِذ تراها أَنظمة مختلفة ديناميكية غير ثابتة، وتشدد على ان تجعل من الفرد عنصراً فعَّالاً في المجتمع، ويربى حسب العادات والمعتقدات التي يخضع لها المجتمع، أَي إِنَّه يُعدُّ المجتمع هو أَساس المنظومة التربوية، والفرد عبارة عن مجتمع مصغر يشابه تلك المنظومة.

7) يختلفان في تحديد نوع البيداغوجيا، في الوقت الذي يعدُّها "كانط" فن سياسة البشر، "دوركايم" لا يعدُّها فنًا؛ لأَنَّ الفن حسب رؤيته يكون قائمًا على العادات والممارسات، وكذلك ليست علمًا؛ لأَنَّ العلم قائمًا على النظريات، والبيداغوجيا لا تقوم على النظريات؛ لذلك يعدُّها ضربًا من التفكير تعتمد على الحقائق المدعومة ممَّن يمارسون التعليم. فالبيداغوجيا عند "كانط" مرتبطة بتربية الفرد وتُسهم في تنمية استعداداته الطبيعية، من خلال جانبين جانب سلبي يمثل: (الضبط والتلقين والانضباط والامتثال للمبادئ والقوانين بشكل آلي ومباشر)، وجانب إيجابي يمثِّل: (الأَخلاق والتعليم)؛ أَمَّا "دوركايم" فيحدد

هدفها بتكوين الفرد تكوينًا اجتماعيًا بحيث يكون خاضعًا لأساليب وممارسات المجتمع الذي ينتمي إليه.

8) "كانط" و"دوركايم" يختلفان في طبيعة التربية الأَخلاقية وأُسسها، فكل واحد منهم يرجعها إلى نظريته الفلسفية، فالتربية الأَخلاقية عند "كانط" هي تربية مرتبطة بالذات الإنسانية، غايتها تحيق حرية الفرد وتمنية ذاته الفردية من أَجل أَن يكون كائنًا حرًا فاعلًا في المجتمع، أَمَّا "دوركايم" يرى أَنَّ التربية الأَخلاقية هي ذات أُسس اجتماعية غايتها تحقيق مصالح المجتمع الذي ينتمي إليه، والفرد لا يتمتع بالحرية الكاملة؛ إذ يكون خاضعًا للعادات والقواعد المجتمعية التي يخضع لها المجتمع الذي يعيش فيه.

References

1. Abdul Jabbar, Nabil Abdul Hamid, History of Social Thought, Dar Dijla for Printing and Publishing, 2009, p. [page number missing].

2. Badawi, Abdul Rahman, Kant's Philosophy of Religion and Education, 1st edition, Arab Institute for Studies and Publications, Beirut, 1980, p. 121.

3. Bouslaham, Samir, Kant between Education and Enlightenment, Anfasse.org website, Published on August 14, 2012, p. 4, [link to anfasse.org].

4. Durkheim, Émile (1858-1917), Author of the text, Education and Sociology, by Emile Durkheim,... ; introduction by Paul Fauconnet,... (Paris) Date of edition: 1922 [link to Gallica.bnf.fr].

5. Durkheim, Emile, Education and Society, translated by Ali Asaad and Tufah, 5th edition, Dar Maad for Printing, Publishing, and Distribution, Damascus, 1996, p. 21.

6. Durkheim, Emile, Moral Education, translated by Sayed Mohammed Badawi, Doctorate edition, National Center for Translation, Cairo, Date unknown, p. 18-19.

7. Durkheim: Emile, Sociology and Philosophy, translated by Hassan Anis, 1st edition, Egyptian Anglo Library, Cairo, Date unknown, p. 70.

8. Émile Durkheim (1911): "Debate on Sexual Education" Excerpt from the Bulletin of the French Society of Philosophy, 1911, 11, pp. 33-47. Text reproduced in Émile Durkheim. Texts. 2. Religion, Morality, Anomie (pp. 241-251). Paris: Les Éditions de Minuit, 1975, 508 pages. Collection: Le sens commun, [link to academia.edu].

9. French Philosophy, 11, 1911, p. 33-47 reproduced in Emile Durkheim, Transcriptions. 2. Religion, Etiquette, Perversion, p. 241-251. Paris: Éditions de Minuit, 1975, 508 p.

10. Kant, Emmanuel, A Project for Permanent Peace, translated by Othman Amin, Doctorate edition, Egyptian Anglo Library, Cairo, 1952, p. 56.

11. Kant: Emmanuel, Three Reflections on Education, Mahi Al-Anwar, Direction in Thought, translated by Mahmoud bin Jamaa, Dar Muhammad Ali for Publishing, 1st edition, Sfax, 2005, p. 17.

12. Messouda, Khalidi, Education and Pedagogy in the Thought of Emile Durkheim, Journal of Generation of Human Sciences, Issue 50, Published on 6/3/2019, p. 71, [link to jilrc.com].

13. Wazada, Tayba Maher, Kant's Educational Philosophy, translated by Abdul Rahman Al-Alawi, 1st edition, Dar Al-Hadi for Printing and Publishing, Beirut, 2001, p. 214.

Philosophical Educational Study Comparing Emmanuel Kant and Emile Durkheim

Ibrahim Ahmed Shair Al-Jumaili *

Amer Abdel Zaid Al-Waeli **

Abstract

∗ Master Student/Department of Philosophy/College of Arts/University of Kufa.
∗∗ Prof/ Department of Philosophy/College of Arts/University of Kufa.

Education and pedagogy are of great importance in post-Renaissance philosophy especially the educational philosophy of (kant) and (Durkheim) because of their great influence in raising the scientific and cultural level of western societies, as education is a basic pillar in their thought .the philosoical thought of both of them, as it doesn't depart from morals religion, as it accompanies man from birth to death despite the great difference in the philosophy and education of each of them. However, there is some compatibility between the visions , as each of them dealt with in his own way the most important educational problems of goals and objectives in the era that he lives in it in order to achieve happiness for the individual and society on the moral and religious level.

Key words : Kant, Durkayim, Philosophy of Education, Pedagogy, Religion and Ethics